عبد الحليم محمد قنبس

الحب في الإسلام

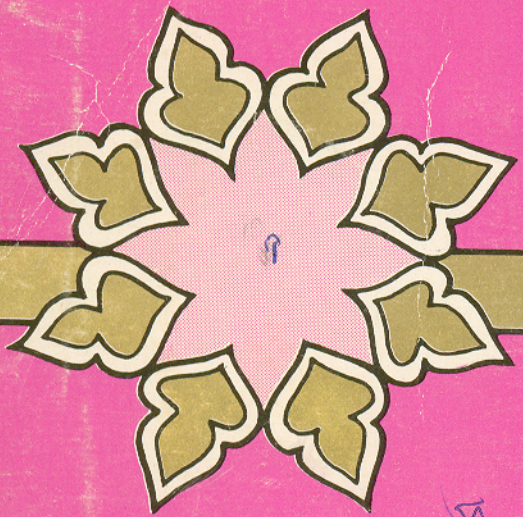

طبع على نفقة

إدارة إحياء التراث الإسلامي

دولة قطر

الحب في الإسلام

كتب القرآن والسنة

عبد الحليم محمد قنبس

الحب في الإسلام

طبع على نفقة
إدارة إحياء التراث الإسلامي
قطر - الدوحة

« لم نر للمتحابين مثل الزواج »

« محمد رسول الله »

استفتاح واستهلال

روى ابن ماجة في سننه :

أن رسول الله ﷺ قال :

« لم نَرَ للمتحابين مثلَ الزواج »

« صدق رسول الله »

الإهداء ...

إلى

أعزّ محبوب بعد الله تبارك وتعالى :

محمد رسول الله

« صلى الله عليه وآله وسلم »

دُعَـــاء وَرَجَـــاء

« .. رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماما »

« .. ربَّنا وسِعْتَ كُلَّ شيءٍ رَحْمَةً وعِلْماً فاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابوا واتَّبَعوا سبيلَكَ وَقِهِمْ عذابَ الجحيم »

« ربَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتي وَعَدْتَهُمْ ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأَزواجِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ »

« وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وذلكَ هُوَ الفَوْزُ العظيم »

« صدق الله العظيم »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

اللهم إن الحمد والشكر لك وحدك ، لاشريك لـــك ، وصلاتك وسلامك على رسولك ونبيـك محمد ، الذي أرسلته رحمة للعاملين .

وبعـــد :

قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله خلق مائة رحمة ، رحمة منها قَسَمها بين الخلائق ، وتسعة وتسعين إلى يوم القيامة » .

وإن مانراه من المودة والإلفة التي بين الناس هو من رحمة الله ، والحب الذي يجمع بين الزوجين من رحمة الله ، فمنبع الحب ومصدره من رحمة الله التي أكرم بها خلقه ، فلولا

الرحمة لما وُجِد الحب ، ولَمَا وُجِدت المودة ... ولم يكن هناك عطف أو حنان يُظلل الزوجين والأولاد ...

فالحب وظيفة ربانية ، أودعها الله تبارك وتعالى بين عباده ، ليقوموا بها تجاهه رجاء رحمته يوم لقائه .

ولذلك ... يجب على المتحابين ، أن يكون حبهم كما أراد الله ، لا كما تريده أهواؤهم وكما أراده رسول الله ﷺ ، لا كما تطلبه نفوسهم ..

فكل من أحب حباً صادقاً اتصف بالرحمة ، وذاق حلاوة الحب ، فاطمأنت نفسه وعاش عيشة المحبين لله ولرسوله ، ولزوجته وأولاده ، أما من لم يذق حلاوة هذا الحب ، فذاك الذي فُقدتْ منه الرحمة ...

هذا .. ولقد حاولت – قصارى جهدي – أن أقدم في هـذا البحث الصورة الصادقة ، والكلمة الحقة عن الحب الصادق ، من خلال منظار هذا الدين الحنيف ، أقدم هذا .. لكل من يبحث عن الحب الحقيقي ، ويريد تحقيقه في نفسه ، ويسعى لإقامة أسرة مبنية على الإلفة والاستقرار ، ولكل

مَن انحراف عن الطريق ، طريق المحبة والمودة ، عسى أن يعود إلى صلاح النفس وطمأنينتها ، ويصبح قلبه مفعماً بالرحمة والحنان.

والله أرجو أن يوفقنا ويتقبل منا ، ماقد مناه في هذا البحث ، ويجعلنا من المحبين له ولرسوله ولجميع المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين .

١٢ شعبان ١٣٩٧ هـ
دمشق في ٢٨ تموز ١٩٧٧ م

عبد الحليم محمد قنبس

مَنهَجُ البَحث

المدخل إلى آفاق البحث :

حب الله ورسوله فوق كل حب

القسم الاول

ويشمل :

- الحب والعشق . . . . .
- الحب والغريزة الجنسية . .
- الحب بين الحقيقية والزيف . .
- الحب العذري وموقف الإسلام منه
- الحب في القرن العشرين . .

القسم الثاني

ويشمل :

- العلاقة والخطبة . . . . .
- الحب والمهر . . . . .
- الحب والزفاف . . . . .
- الحب بين الزوجين . . . .
- الحب وحق الزوج . . . .
- الحب وحق الزوجة . . . .
- الحب وحق الأولاد . . . .

الخاتمـــة

البيت المسلم في ظلال الحب الإسلامي

المدخل إلى آفاق البحث :

حُبّ اللهِ وَرَسُولِهِ فَوق كلّ حُبّ

حُبّ الله وَرَسُولِهِ فوقَ كُلّ حُبّ

حقاً إن حب الله ورسوله فوق كل حب ، قال الله تعالى :

« قل إنْ كانَ آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشَوْنَ كسادَها ومساكنُ ترضوْنَها أحبَّ إليكم من اللهِ ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربصُوا حتى يأتيَ اللهُ بأمرِهِ واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين[1] » .

هكذا قرر الإسلام أن حب الله ونبيه فوق كل حب ، لهذا أعتُبر هذا الحب من أعلى وأسمى أنواعه ، لأنه حب متصل بالله تبارك وتعالى .

---

(١) التوبة : ٢٤

وينشأ هذا الحب بإثارة القوى العقلية والروحية، وعمق النظر والتفكير في خلق السموات والأرض، وحسن التدبر لآيات القرآن الكريم « ربَّنا ما خلقْتَ هذا باطلاً سبحانَك فقِنا عذابَ النار [1] » .

وحينما ترسخ محبة الله في قلب المؤمن ، وتتعمق جذورها ، كان الله هو الغاية في كل شيء ، وآثره المرء على كل شيء ، وضحى من أجله بكل شيء ، لأنه شعر بحلاوة الإيمان ولذة اليقين ، فأصبحت بقية اللذائذ الدنيوية لا قيمة لها أمام هذه اللذة ، وقد بين رسول الله ﷺ هذه الحلاوة بقوله : « ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مماسواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

هكذا يقع حب الله في قلب المؤمن الصادق ، الذي قد كمل بمعرفة جمال الله وجلاله ، فوجد من الصلة الوشيجة

---

(١) آل عمران : ١٩١

والتجاذب الروحي مالم يجده غيره ، وجد صلة المودة والقربى ، صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود ، وأصبح هذا المؤمن من الذين أحبهم الله وأحبوه ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ... [1] » أجل يارب إنك ستأتي بقوم تحبهم ويحبونك إن لم يتقرب إليك المؤمنون بحبهم ، وهذا الحب الذي رسخ في القلب ، وأوصل العبد بربه ، لا يعرفه إلا من وجد إيقاع صفات الله في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها ، ولايقدّر حقيقة هذا الحب إلا الذي عرف حقيقة المحبوب وهو الله .

وحب الله لعبده أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من عرف الله ، إذ حب الله له نعمة لايدركها إلا من ذاقها ، وذاق حلاوتها ، وحلاوة القرب من ربه ، ذلك القرب الهائل العظيم ، المليء بالفضل الجزيل .

---

(١) المائدة : ٥٤

نعم إنها نعمة : نعمة الله على عبده بهدايته لحبه وتعريفه هـذا المذاق الجميل الفريد ، الذي لانظير له في مذاقات الحب كلها ...

وقد وصف الله تبارك وتعالى المؤمنين بشدة حبهم له من غيرهم الذين اتخذوا أحباباً من دونه حينما قال : « ومن الناس من يتَّخذُ مِنْ دون الله أنداداً يُحبونَهمْ كحب اللهِ والذينَ آمنوا أشدُّ حُباً لله ...[1] » .

والذين آمنوا أشد حباً لله ، لأن قلوبهم لم تعمر إلا بذكر الله ، ولم تصف إلا بحب الله ، أمـا أولئك الذين انطوت نفوسهم على محبة مايحلو لهم في هذه الدنيا ، فقلوبهم بعيدة عن هذا الحب الإلهي ، بعيدة عن هذا الصفاء الروحي ، والاتصال القلبي .

وقد لاحظنا من سياق الآيات الكريمة التي ذكرت آنفاً ، أن الله تبارك وتعالى قرن مع حبه حب رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، لأن محبته من محبة الله ، ولأنَّـهُ

---

(١) البقرة : ١٦٥

الرسول الأمين ؛ والهادي للحق المبين ، فقال الله تعالى عن هذا الإتباع : « قُلْ إنْ كنتم تُحبونَ اللهَ فاتبعوني يحببْكُمُ اللهُ ويغفرْ لكم ذنوبَكمْ واللهُ غفورٌ رَحيم[1] » .

وهذا عمر بن الخطاب يقول للمصطفى ﷺ : «والله يارسول الله أنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي » فقال رسول الله ﷺ : « لايُؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه » فقال عمر : « فأَنتَ واللهِ أحبُّ إليَّ من نفسي » فقال رسول الله ﷺ : « الآنَ ياعمر.. » الآن قد تم إيمانك وحبك لرسول الله ، ويقول رسول الهداية صلوات الله وسلامه عليه : « والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» .

بيد أن هذا الحب الإلهي لايتنافى مع محبة الزوجة والأولاد والمؤمنين مادامت هذه المحبة تابعة له ، وغير مانعة له من النمو والسمو والوصول إلى الكمال . فمحبة الزوجة والولد فطرية ، تنشأ في قلب الإنسان وعاطفته ، فالنبي ﷺ

---

(١) آل عمران : ٣١

كان يحتضن أولاد ابنتـه فاطمة ، وذات يوم خرج وهو محتضن لأحد ابنيها وهو يقول: « إنكم لَتُبَخّلون وتُجَبّنون وتُجَهّلون، وإنكم لمن ريحان الله [1] » .

لذا فليعلم كل مؤمن ومؤمنة ، أن حبهما المبني على الطهر والعفة ، وحب أولادهما المؤسس على المودة والرحمة ليس بعيداً عن حب الله ورسوله بل هو تابع له، فالمؤمن محب لله ولرسوله ، محـب لزوجته وأولاده ، محب لكل مؤمن في هذا الوجود ..

* * *

(١) أي : أن الأولاد يسببون لآبائهم البخل والجبن والجهل بإيثارهم .

القسم الأول

ويشمل :

- الحب والعشق . . . .
- الحب والغريزة الجنسية . .
- الحب بين الحقيقة والزيف . .
- الحب العذري وموقف الإسلام منه . .
- الحب في القرن العشرين . .

الحُبُّ والعِشْق

الحب كلمة ينطق بها كل إنسان ، ويرتعش لها قلبه ، ويتلعثم بها لسانه من شدة صدقها ، وغورهـــا في شغاف القلب .

كلمة وجدت حلوة منذ وجود الإنسان ، تعبر عن الود والمحبة ، لاتستقر إلا في القلب ، وتتكلم بها الجوارح، سواءاً كان نطقاً أم عمـلاً ، فمنذ وجود هذا الانسان ، ومنذ خلقِ الله له ، وضع في قلبه الحب ، لكي يساعده على ضنك الغيش ، ويعينه على مواجهة كل المصاعب .

وكم للحب من درجات ؟ فمنه ما يصل إلى شغاف القلب ، ومنه مـا يوجد حرقة في قلب المحب مع اللذة

العارمة ، ومنه ما يكون ظاهراً ، فلا يستقر في القلب .

والعشق : هو عجب المحب بالمحبوب ، وهو مركب من أمرين : استحسان للمعشوق ، وطمع في الوصول إليه فمتى انتفى أحدهما ، انتفى العشق .

لهذا نستطيع القول : بأن الحب يقع في قلب الطرفين معاً ، ويشعر كل منهما بذلك ، بخلاف العشق ، فهو يقع في قلب العاشق ، ويتحرق به ، وربما لا يشعر في ذلك المعشوق لهذا ؛ فالحب أشمل وأعم وأصدق من العشق ، تقول : إني أحبه ، حينما تشعر بالمحبة الكلية ، إنك تحب فيه كل شيء ، ولاتقول : إني عشقته ، لأن العشق مخصوص بشيء تقول : عشقت كلامه لحلاوته ، ووجهه لبشاشته ، فقد عشقت فيه شيئاً معيناً ، وينتهي هذا العشق بانتهاء العجب بالمعشوق ، فمهما عمق العشق ، أو تعدد وتنوع فإنه لايصل إلى مرتبة الحب ، الذي يقول فيه الشاعر العربي :

فو الله ماأدري وإني لصادق

أداء عراني من حُبابك أم سحر [1]

فالفرق بين الحب والعشق واضح وشاسع ، وكذلك نلاحظ أن الحب أطهر من العشق وأقوى رابطة ، يقول أبو العباس أحمد بن يحيى حينما سئل عن الحب والعشق أيهما أحمد ؟ فقال : الحب ، لأن العشق فيه إفراط ، والإفراط يؤدي بالنهاية إلى التفريط .

أما الحب فلا يزول بل يبقى في قلب المحب ويزداد ، وإن تم اللقاء بين الحبيبين .

* * *

(١) لسان العرب .

الحُبُّ والغَريزة الجنسيّة

لانريد أن نتطرق في هذا البحث ، عن العلاقة القوية ، بين الحب والغريزة الجنسية ، لما كتبه أو يكتبه علماء النفس ، بل يكفينا أن نفتح كتاب الله سبحانه ، فنجد هذه الآية الحكيمة « زُيِّنَ للناسِ حُبُّ الشَّهَواتِ من النســـاءِ والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ منَ الذهبِ والفضةِ والخيلِ المسوَّمةِ والأنعامِ والحرثِ ذلكَ متاعُ الحياةِ الدنيا واللهُ عندهُ حُسنُ المآب [1] » .

وحينما نقرأها ، نفهم مباشرة ، أن الحب أول مايقع ، إنما يقع بين الرجل والمرأة فلقد قدم الله تبارك وتعالى حب النساء ، على جميع مايحلو للإنسان ، ويحبذه

---

(١) آل عمران : ١٤

في هذه الحياة ، قدم حب المرأة على البنين ، وعلى المال وعلى كل ما يسميه الإنسان زينة ، ويحب أن يستأثر به ...

ومن هنا نلاحظ العلاقة القوية ، بين الحب والغريزة الجنسيْة ، إذ المرأة من جنس الرجل ، ويدلنا على هذا كذلك قول الله سبحانه : « ياأيُّها الناسُ اتقوا ربَّكم[1] الذي خلقكمْ من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء » فإشباع الغريزة لايتم إلا بوجود الطرفين معاً . الذكر والأنثى ، ولهذا يظهر الحب بين الطرفين ، ويصبح زينة تظهر للمرء ، ويشعر بها كغريزة مطلوبة ، يجب الوصول إليها ، وهذه الغريزة لاتتم على الوجه الصحيح والأكمل ، إلا بوجود الحب الدائم ، الذي انصهر بها ، فإن فقد الحب تحولت هذه الغريزة الجنسية من العلاقة الوشيجة المبنية على المودة والرحمة ، إلى غريزة بهيمية ، تقضى فيها الشهوة بدافع الأمر العفوي ، وقذْنبّه

---

(١) النساء : ١ .

على هذا بني الرحمة المودة ﷺ بقوله : « لاينزُ أحدكم على أمراتـه كما ينزو العَيْر [1]... » بل عليه أن يداعبها ويضاحكها ، ليبقى الشعور بالحب موجوداً بينهما .

ويتم اشباع هذه الغزيزة على الوجه الأكمل ، حينما يستمر الأرتباط بين الرجل والمرأة ، ارتبـاط الزوجية على الطهر والمودة والمحبة ، وهذا قول الله تعالى في كتابه : « نساؤكم حرثٌ لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن [2] » يبين أن المرأة هي الحرث للرجل ، وهي المشبعة لغريزته والمحقّقة لأحلامه ، والمظهرة لحبه ، فلا منغص لحبهما ، ولامانع لإشباع غرائزهما « هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » فهل هناك أمتن من هذا اللباس الساتر لهما ؟ إنه مصنوع من الحب ، مغزول من المودة والرحمة فلا وجود للكبت أو الشذوذ الجنسي ، بل اللقاء الحار ،

---

(١) العَيْر : الحمار .

(٢) البقرة : ٢٢٣

والمحبة الصادقة ، والإلفة الأمينة يشع ذلك كله من خلال هذا اللباس ، لباس الطهر والمحبة ، الذي وصـــل إلى شغاف القلبين معاً ، إنها لك وأنت لها ، اتحاد كامل بين جسمين وروحين لايفترقان ، ولا يلجأ أحدهما إلى المخادعة والتلاعب ، لأن الحب قد بني على أسس متينة ، مبنية على الطهر والمحبة والرحمة.

★ ★ ★

الحُبّ بَين الحَقِيقةِ وَالزّيف

لاغرو أن لكل شيء ظاهراً و باطناً ، وخيراً وشراً ، فكم من أشياء إن أردت بها خيراً أطاعتك ، وإن أردت بها شراً أجابتك ، وكذلك الحب ، فيه الحقيقة والزيف ، فليس كل من نطق بهذه الكلمة أصبح محباً أو حبيباً ، فكم من ألسنة معسولة وراؤها السم ناقع ؟ وكم من كلمات متعثرة وراؤها الخير واقع ؟

فالحب الحقيقي : كوردة نبتت على ساقها ، وتفتحت أكمامها ، ولم تعبث بها يد مخلوق ، لها رائحتها الطيبة ، لايستمتع بها إلاصاحبها ، فيصل عبيرها العابق شغاف قلبه ، ويحافظ عليها ، ولا يرضى من أحد أن يمسّها .

والحب الزائف: كوردة كأن لم تنبت على ساقها ، وقد ظهر نَوَارُها ، يعجب الناظرَ منظرُها ، ولكن لا رائحة لها ، ولا حياة فيها .

لهذا تظهر النتيجة جلية بين الحقيقة والزيف ، فالحب المبني على الطهارة والعفة ، يكون نتاجه التقاء الاحبة ، واستمرار الحب ، لأنه بني على الصدق ، وقد نال شهادة المودة والرحمة من كلا الطرفين .

أما الحب المزيف : الذي لم يتجاوز الحنجرة ، وإن تجاوزها ، إنما يريد صاحبه الوصـــول إلى أشباع غريزته ، التي أرسلت كما يرسل الحيوان على الحيوان ، وتكون النهاية وخيمة ، وتفضح النوايا السيئة ، وذلك حينما يصل صاحب الحب المزيف إلى ما كان يصبو إليه ، وتقع الكارثة ، وتظهر أنيـــاب الذئب بعدما كانته بسمةِ رحمةٍ ...

هذا هو الحب بقسميه ، الحقيقي والمزيف ، فهل يعيش أولئك في حب حقيقي يترعون حلاوته ؟ أم في حب مزيف يجرعون مرارته ؟..

الحُبّ العُذريّ وَمَوقف الإسْلَام منْه

لا بد لنا أن نشير إلى هذا النوع من الحب بمكانته، ورواجه وكثرة طرّاقه، وتفنن الكاتبين عنه، فقد امتلأت الكتب الأدبية به، من حديث العاشقين، وسمر المحبين، واستشعار الشعراء، وجنون الهائمين.

بيد أننا في هذا البحث، سنضعه في ميزان الحب الإسلامي، لتظهر لنا حقيقته ويتضح حكمه، فما هو موقف الإسلام منه ؟

ها نحن نقرأ و نسمع عن مجنون بني عامر، وهيامه بحب ليلى.

وقد اجتمع بها أكثر من مرة، حتى بعد زواجها من غيره، ويحدثنا عن هذا صاحب الأغاني بقوله: «قال

خالد بن حمل : حدثني رجال من بني عامر أن زوج ليلى وأباها خرجا في أمر طرق الحي إلى مكة ، فارسلت ليلى بأمة لها إلى المجنون فدعته فقام عندها ليلة فأخرجته في السحر وقالت له : سر إليّ في كل ليلة مادام القوم سفراً ، فكان يختلف إليها حتى قدموا .

وقال في آخر ليلة لقيها وودعته :

تمتع بليلى إنمـــا أنت هامة
من الهلم يدنو كل يوم حِمامها
تمتع إلى أن يرجع الركب إنهم
متى يرجعوا يحرم عليك كلامها

فهل هذا حب صادق مبني على الطهر والمودة ؟ أم حب مبني على إشباع الغريزة الجنسية بطريق غير مشروعة ؟ وإن يكن الحب هكذا فلمَ بيت الزوجية ولم تكوين الإسرة ؟ أجل إنه حب لايتصف بذلك الحب الحقيقي الذي أسس على المودة والرحمة ، فمن الحب الطاهر الشريف يُبنى بيت الزوجية ، وتم التقـــاء روحين وقلبين بنفس

واحدة ، تشع عليهما ألواناً جميلة من الحب والاطمئنان والسكينة ، قال الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون[1] » .

فكيف يتمتع بها وهي حرام عليه ؟ أهذا حب عذري ؟ بل حب مليء بالغرائز الجنسية ، وقد يقال عن هذا المجنون : أنه لم يستطع الزواج من ليلى فكان يفعل ما يفعل ، وهل الإسلام يرضى لاستمرار هذا الحب ؟ لأن الاستمرار به لايتم إلا بالزواج يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « لم نرَ للمتحابين مثل الزواج » فستمام الحب : الزواج ، فإن امتنع هذا الزواج أما ينتقل هذا الحب إلى إنسانة ثانية ؟ فيؤسس الحب على الطهر والصدق ، واستمرار المودة والاطمئنان ابعضها .

وقد طفح الكيل بحب المجنون ، فترك الصلاة لفرط حبه !! وأظن أنه نسي الله وبقي حب ليلى ، ويدلنا

---

(١) الروم : ٢١

على هـــذا ما تقول الرواية التالية ، من كتـاب الأغاني للأصفهاني : « ... فكان لايلبس ثوباً إلا خرَقه ، ولايمشي إلا عارياً ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله ، فإذا ذكرت له ليلى أنشأ يحدّث عنها عاقلاً ولايخطيء حرفاً ، وترك الصلاة ، فإذا قيل له : مالك لا تصلي ؟ لم يرد حرفاً ... »

فهل هذا من سمات المحبين ؟ لو كان الحب هكذا لضاع العرف بين الناس ، ولضـــاعت القيم ، وضاع كل ما يسمى بالإلفة والمحبة ، وبالعطف والرحمة ، وفقد كل ما تسمو إليه النفس من استقرار واطمئنان بجانب تلك الإنسانة التي أحبته وأحبها .

وقسْ على مثل هذا « جميل العاشق » الذي كان يواعد بُثينة ، فمرة يحظى بلقائها ، ومرة لاينال إلا التحرّق عليها ، وقـد ذكر صاحب الأغاني فقال : « أخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه أيوب بن عبابة عن رجل من عذرة قال : كنت تربا لجميل وكان يالفني ، فقال لي ذات يوم : هل تساعدني على لقاء بثينة ؟ فمضيت

معه ، فكمن لي في الوادي وبعث بي إلى راعي بثينة بخاتمه فدفعته إليه ، فمضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه . فلما كان الليل جاءته فتحدثا طويلاً حتى أصبحا ، ثم ودعها وركب ناقته . فلما استوى في غرزها[1] وهي باركة قالت له :ادنُ مني ياجميل » ،فطوال الليل يتحدثان عن الحب والمحبين ... وماذا تكون النهاية ؟ لقد طلبت منه الدنو إليها !! إنه حب عذري !! وقد قال رسول الله ﷺ : « ما اختلى رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » فكيف بهذه الخلوة ؟؟

حتى بعد أن تزوجت بقي معاهداً قلبه على استمرار الحب لها !!..

روى صاحب الأغاني : « ... ثم تزوجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خفية ...»

ونكتفي بذكر ما ذكر لأن المقام ليس لمثل هذا المقال .

---

(١) ركاب الرجل من جلد .

فالاسلام لايرضى ولا يقر مثل هذا الحب ، لأن الحب مرتبط وتابع لحب الله ورسوله ، فاسسه وقواعده مأخوذة من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وسنعرف هذا في البحوث القادمة إن شاء الله ...

* * *

الحُبّ في القَـرْن العِشْـرين

لو أردنا أن نبحث عن الحب ومستواه في القرن العشرين ، لكفانا أن ننظر نظرة سريعة ، على ما كان عليه الحب في الزمن المنصرم ، وحالته في الوقت الحاضر ، إذ لم يشهد التاريخ يوماً من الأيام حباً زائفاً ، كما نشاهده في عصرنا الحاضر .

إن الحب الحقيقي قد فقد عند الشباب ، وضاعت هذه الكلمة « الحب » وأصبحت غليظة لا ترقى إلى عالم الروح ، لقـد ضاعت المعاني الجليلة والأمـاني السامية الرفيعة ، وحبست الآهات العفيفة ، وفقدت المُثل العليا وحل محل ذلك .. الحب المزيف ، الذي قام مقامها ، وأصبح له الكاس المعلا ، وأخذ دوراً فعالاً وعظيماً بين الشباب والشابات ، وتحولت كلمة الحب إلى باب من أبواب الخداع والمكر ، للوصول إلى غاية ما ، وللنهب والاختطاف ، هذه

هي ثمرة الحب الزائف يجنيها أولئك في القرن العشرين ، فيلدغهم شوكها ، ويستطعمون بمرارتها ، ويتعذبون من آلامها ، حب زائف لاعفة فيه ولاطهر ، بل كذب وتدليس فأين الحب الحقيقي ؟ أين عفته ؟ أين حرمته ؟ ...

إننا نسمع الكثير عن المشكلات الاجتماعية ، من حيث العلاقات الجنسية : الانتحار ـ الضياع ـ الجنون ...

لِمَ يحدث هذا ؟ هل من حب حقيقي متبادل من الطرفين نشأ على العفة والشرف ؟ كلا . بل لابدّ من أحد الطرفين ، قد حمل مشعل الزيف ، ليحرق به الآخر ، متظاهراً بأنه ينير له الطريق ، وما حمله على ذلك إلا لخبث نفسه ، ونجاسة ثوبه ، وفقده لكل مايمت بصلة إلى الشرف والمروءة ، والرحمة والود ، فهو لم يفكر إلا بالوصول إلى مأربه ، لإشباع غريزته التي استولت عليه ، فهو كالأنعام بل أضلّ سبيلاً ، قد قطع شوطاً في تعلم المكر والخديعة ، فأصبح الزواج عنده كلمة موبوءة يجب الإبتعاد عنها ، ويكفيه أن يعيش بين أحضان الضياع ؛ فقد أصبح

ميسوراً لكلا الطرفين أن ينال مايريده... فهذه صيحات الشباب ترن في الآذان ، وويلات الفتيات تهز المشاعر ، لقد حدث هذا ، حينما فقدت المرأة حشمتها ، وخرجت سافرة ، مُظهرة كل ما يفتن الشباب ، فضاعت انوثتها ، وفقدت كرامتها ، ودرس حياؤها فلو أنها حفظت نفسها ، ولبست الثوب الذي يغطي فتنتها ، ويعيد لها كرامتها ، وطبقت قول الله تعالى : « وقلْ للمؤمنات يُغضضنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يُبدين زينتهن إلا ما ظهر منهـــا وليضربنَ بخُمرِهن على جيوبهن ولايُبدين زينتهن إلا لبعولتهن ... »[1]

فلو فعلت هذا ، لأحبها الشاب حباً حقيقياً ، لاحباً جسديا ، ينتهي بقضاء الشهوة منها ، ولما سمعت منها الويلات وكذلك الشاب ، لو طبق كل مايتصف بـه ذو الخلق والعقل ، وتوجه إلى قول الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن

---

(١) النور : ٣١

الله خبير بما يصنعون »[٣] لما سمعت صيحاته، ولم تشاهد ضياعه وجنونه ..

وزد على ذلك كون المسلم العربي يتصف بالحب الحقيقي ، والشرف والمروءة ، وبالذود عن عرضه بماله ونفسه ، فحينما يحب يصدق في حبه ، فهاهو الشاعر العربي المحب يقول :

هل الحب إلا عبرة بعد عبرة وحر على الأحشاء ليس به برد
وفيض دموع العين بالليل كلما بداعلم من أرضكم لم يكن يبدو

وكم من قصص كثيرة ، نقرأها عن أسلافنا ، المحامين عن عرضهم ، الذائدين عن حوضه بأنفسهم ، وبأغلى شيء عندهم ..

بيد أننا لابد أن نعود إلى الدواء الشافي لهذا الداء ، وهو أن نتوجه إلى منظار الإسلام ، الذي يعطينا الصورة الواضحة والحقيقية ، التي لامراء فيها ، يعطينا كيف نفهم الحب الصادق ؟ وكيف هذا الحب ؟

فلا يترك لنا أي مشكلة تحدث في البيت المسلم إلا ويحلها ، ويجعل هذا البيت قائماً على أسس التقوى والمحبة .

---

(٢) النور : ٣٠

القسم الثاني

ويشـــمل :

- العلاقة والخطبة . . .
- الحب والمهـــر . . .
- الحب والزفاف . . .
- الحب بين الزوجين . .
- الحب وحق الزوج . .
- الحب وحق الزوجة . .
- الحب وحق الأولاد . .

العلاقة والخطبة

ليس في هذا الوجود من إنسان ، إلا وفيه قلب ينبض ، وعينان تشاهدان ، القلب لايخلو من همسة حب، وذرة رحمة ، ولكن استعمال هذه الهمسة .. ربما تسخر في افساد المجتمع ، أو في اصلاحه ، ولابد للشاب أن تصبح عنده علاقة حب مع إنسانة ما ، ربما تكون حقيقية أو خيالية ، وكذلك الفتاة ، ولا نريد أن نكتب قاموساً عن العلاقة بين الشاب والفتاة ، وعن الفشل والنجاح ، بل نريد أن نبحث عن مدى هذه العلاقة ، وكيف تتم ؟ وماذا تكون نهايتها في نظر الإسلام ؟

إن أول مايستدعى الانتباه لحل مشكلة العلاقة ،

هو قول نبي الرحمة ﷺ : « لم نَرَ للمتحابين مثلَ الزواج » .

لقد اعتبر الحب ناقصاً إذا لم يُتوّج بالزواج ، وليس بالحب الحقيقي إذا لم يُصدّق بالزواج .

لهذا نرى أن الاسلام أوصد باب العلاقة ، أمام كل من يريد أن يلهوا بها من الطرفين معافجعلها محدودة لكي لايكون أي مجال للشذوذ والتلاعب وحينما تبدأ نسمة الحب يُطلب من المحب أن يعقد القِران فوراً ، فلا داعي لتضييع الوقت ، واعادة النظر مرة بعد مرة ، لأن الثقة متبادلة بين الطرفين ..

ربما يقال : إن هذه الفتاة لا أعرفها ولاتعرفني أريد أن أتعرف على أخلاقها وعلى جميع أحوالها ، أريد أن اعاشرها !! هكذا يقال من كلا الطرفين ، ولِمَ هذه العشرة ؟ تعاشرها فترة ثم لايعجبك خلق منها فتتركها معلقة ؟؟!! تتركها وقد بنت أحلامها معك ؟ وتريد أن تحققها بجانبك ، فهل يرضى هذا أخ لأخته ؟؟ فكم من

فتيات خُطبن، عشن أيام الخطوبة، ثم ارتفعت أصواتهن بالبكاء ؟ وكم من شباب خطبوا وضاعوا مع الضائعين، وتاهو مع التائهين ؟ فقدواثقتهم ومحبتهم، وضاعت أحلامهم ...

هذه هي مشكلة العلاقة ، علاقة الحب في أيام الخطوبة ...

ولكن لم يحدث هذا إلا حينما ابتدعت قراءة الفاتحة فقط ، وسميت خطبة وليس هذا من الإسلام بشيء ، إذ الخطبة بمفهومها الصحيح هي العزم على عقد القِران ، وهو مانسميه « كتب الكتاب » .

لقد وجد كل مايحدث من فقدان الثقة ، وفقدان الثقة من فقدان التقوى ..

فالبيت الذي عائشت فيه تلك الفتاة ، يجب أن يكون مبنياً على التقوى ، فكيف تكون الثقة متبادلة والبيت مبني على الفساد ؟ وقد نبه رسول الله ﷺ على هذه بقوله : « إياكم وخضراء الدمن». فقال الصحابة :

وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال :«المرأة الحسناء في المنبت السوء» فإن تزوج الشاب هذه التي نبتت على السوء وفساد التربية أين سيصبح الحب ؟ وأين دوام الارتباط في بيت الزوجية ؟ وهذا مايلاحظ في المجتمع ؛ فالشباب يسعون إلى الجمال ، والفتيات يسعين إلى المال ، وكم من مشاكل اجتماعية وقعت ؟ ـ يندى لها الجبين ـ من وراء هذا الاختيار ، وخاصة حينما تصبح بينهما العلاقة ودية .

إن هذه العلاقة بحد ذاتها ، قد رسمت طريقاً مغايراً للدين الحنيف ، لهذا ظهر نوع الحب ، الذي تكلمنا عنه في موضعه ، إذ الحب وكما يشاهد من خلال العلاقات التي تؤدي إلى الزواج ، قد انخفض إلى مستوى الغاية المادية أو الحسية ، التي يريد المحب الوصول إليها ، إنها غاية المال وغاية الجمال فانقلب الحب إلى عشق ينتهي بانتهاء الوصول والإعجاب ، أو إلى حب مزيف يظهر زيفه بانتهاء الإشباع . وها نحن نعلم هذا كله من قول النبي ﷺ ، الذي يدلنا على الطريق السليم ، والمؤدي إلى الحب الحقيقي المتواجد

في المرأة المخطوبة : « تُنكح المرأةُ لأربع : لِمالِها ولحسبها ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

وكذلك الفتاة ، إنها تسعى إلى ما يسعى إليه الشاب ، وتطلب ما يطلبه سواء أكان هذا منها أم من أهلها ، فإن خطبها مَنْ لم تتوفر لديه الشروط المطلوبة ـ جمال ، مال ، شهادات ـ رُفض ...

وقد نسي وليُّها بهذه الشروط أنه يزوج ابنته للمال وللبناء وللعربة ونسي أن هذه الشروط ، تجعل للفساد باباً لايغلق ، وللمعاصي عواصف لاتهدأ ، إنه لم يدر أن رسول الهداية قال : « إذا جاءكم مَنْ ترضون دينَه وخُلقَه فأنكحوه إلّا تفعلوا تكنْ فتنة في الأرض وفساد » لم ينظر إلى هذا الدين ، الذي يضمن لابنته الحيـــاة السعيدة ، والاطمئنان الدائم ، والحفظ من كل زيغ ، ولكنه ذهب هو وغيره ، يلهث وراء المال والجاه ، ومن يسع وراء ذلك ، فسوف لا يجد إلا ذلك .. ستفقد الطمانينة والهدوء ، وسيضيع الحب ويتوارى عن القلبين ، ويصبح العيش

في بيت الزوجية مليئاً بالتعقيدات ، التي لابد أن يصبح الزوج معقداً أو الزوجة معقدة ، ونهاية التعقيد ستؤدي إما إلى الجنون أو الهلاك ..

أما علاقة الشاب المؤمن ، أو الفتاة المؤمنة فمرتبطة برباط الشريعة وهذا الرباط يؤدي مباشرة الى ارتباط الروحين معاً .

إن الحب قد وقع في القلبين ، حينما تم اللقاء بالعيون ، لقد تم اللقاء بينهم ضمن حدود الشرع ، فلا حاجة للمعاشرة والاختبار ، ولا للخروج والدخول ، إن هذه الرؤية لبعضهما كافية لخفقان القلبين ، ولغرس فسلة الحب في معين الفؤادين ، ويتم الشروع في الخطوبة بلا تاجيل ولا تسويف فحينما يكون الشاب قد نشأ على التقوى وتزين واتصف بما يرضي الله ورسوله ، وكذلك الفتاة ، فهل هنالك من عائق لوجود هذا الحب ؟ وخصوصاً إذا برهن كل منهما للآخر بالود والمحبة ، وطبقا قول النبي ﷺ بالرؤية الكافية وقت الخطبة .

فقد أوجب الإسلام هذه الرؤية للخاطب والمخطوبة، لكي لايحدث في يومٍ ما كُرهٌ من أحدهما للآخر، فقد قال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار وقد خطب فتاة: « أنظرت إليها ؟ قال الرجل : لا ، قال رسول الله : فاذهب فانظر إليها ، فإن في أعين الأنصار شيئاً » . ويقول رسول الله ﷺ لأحد الصحابة : «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما [1] » نعم إنه لحري حقاً ، أن تظهر المحبة والإلفة بينهما ، حينما ينظران إلى بعضهما ، وتلتقي العيون بالعيون ، ويكون الزواج مُوفّقاً ، إذ عدمُ النظر ، ربّما يؤدي إلى عدم تبين عيب ما ، والعيب في الجسد ربما يؤثّر على الغريزة الجنسية ، وهـذا كله دليل على أن رعاية الجانب الحسي ، إلى جوار رعاية الجانب الروحي والخلقي ، تكميل للاختيار الموفّق الذي تعمر به الحياة الزوجية ، لهذا أغلق النبي ﷺ كل باب تهب منه ريح البغض والاختلاف ، ووساوس الشيطان ...

---

(١) يؤدم بينكما : تكون بينهما المحبة والاتفاق ـ لسان العرب ـ

الحب والمهر

لقد أصبح الصداق من المعضلات التي تقف أمام الشاب ، الذي يريد أن يستر نفسه ، ويأوي إلى فتاة أحبها وأحبته ، وتحول هذا الصداق إلى مال ينهك ظهر الخاطب ، وتحولت الفتاة المخطوبة إلى سلعة تباع ، فحينما يدفع الشاب ذلك المال الجم ، فكيف يبقى ذلك الحب مستمراً بينهما ؟ إنه سيشعر حينئذ ، بأن حاجزاً وقف بينه وبين مخطوبته ، حاجز المادة الذي اعتبر قسماً مهما في الزواج ، مع العلم أن المهر ماهو إلا رمز للتقدير والإعزاز لتلك الإنسانة ، وإذ يتحول إلى قيد يقيد به الزوج ، لكي لا يفكر في الطلاق إن لم يؤدم بينهما ، لهذا نشاهد

كثيراً من الشباب ، قد اصيبوا بوصمة في قلوبهم ، وبلجام على ألسنتهم ، حينما يطلب منهم هذا المبلغ الباهظ ، الذي فُرض عليهم فرضاً .

أما لو كان الصداق مطبقاً كما ورد عن الله سبحانه وعن نبيه ﷺ لما وجد للمعضلات وجود ، فالصداق في الدين الإسلامي ، رمز وتقدير وإعزاز للمخطوبة ، لاتثمين لقيمتها ، لهذا لم يحدد الاسلام الصداق ، لكي يبقى رمزاً للمحبة والمودة ، إنه يزداد وينقص على قدر سَعَةِ الخاطب ..

فحينما زوّج رسول الله ﷺ ابنتَه فاطمة ، لم يطلب من علي كما يطلب والد البنت في عصرنا الحاضر ، بل قال لعلي : أعطها شيئاً . فقال علي : ماعندي شيءٌ فقال رسول الله : أين درعك الحطمية ؟ قال علي : هي عندي . قال رسول الله : فاعطها إياها " . وحاشا أن تكون فاطمة رخصة عند أبيها ، أو كذلك عند ابن عمها ، انه قدم الدرع لأنه لم يستطع تقديم أكثر من ذلك ، ولو

كانت عنده استطاعة لفعل ، ويسمع رسول الله ﷺ بزواج امرأة من بني فزارة على نعلين ، فقال لها رسول الله ﷺ « أرضيت من نفسك ومالك بنعلين ؟ قالت : نعم . فاجازه » . قالت : نعم ! لقد أصبح الصداق لاقيمة له ، أمام الحب الذي استقر في القلبين ، وأضحى لاحيز ولا وجود له أمام الروحين ، لقد استقر الحب في قلبيهما ، ولم يترك مكاناً للصَّدَاق ، ولم ينشغل فكرهما في هذه المادة الذاهبة ، بل اعتبرا الحب هو الأساس الذي سيُبنى عليه بيت الزوجية .

فلو طبقنا فعل رسول الله ﷺ ، وفعل هذه الصحابية الجليلة ، فهل يبقى الصداق عقبة أمام الشباب ؟ إن العقبة ستزول ، حينما ينظر أهل المخطوبة إلى الخاطب أنه كفءٌ لابنتهم ، وذو دين وخلق ، هذه هي النظرة الصحيحة التي قال عنها رسول الله ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد » .

لقد وضع رسول الله ﷺ شرطين اثنين :
أ ـ الدين . ٢ ـ الخلق .

لكي تعيش الفتاة مطمئنة النفس ، تشعر بحبه ويشعر بحبها ، وقد تحول هذان الشرطان إلى شروط مادية كثيرة ، يجب أن تتوفر لدى الخاطب .

فماذا ستكون نظرته إليها ؟ إنه سيشيعها بين الحين والحين ، بنظرات مستعرة يوحي إليها من خلالها أنها نهبته ، وأنها مشرية بالمال لا بالحب ، ولهذا يبدأ الحب بالزوال ؛ لأن الصداق المجحف حل محله ، فينطفىء نوره وتذهب قدرته .

أما لو كان الصداق على قدر الاستطاعة ، فلا وجود للنظرات التي فرغت من الحب ولا وجـــود للمشاحنات والمهاترات ، كل ذلك لايحدث ، وخاصة حينما يطبق قول النبي ﷺ : « خير نساء امتي ، أقلهن مهـــراً وأصبحهن وجهاً » .

هكذا يقرر الإسلام الصداق ، لكي يستمر الحب ،

وتبقى المودة والرحمة ، تشع على القلبين ، نور الرحمة والتقوى ، ونختم هذا البحث بقول عمر الخطاب حينما خطب الناس قائلاً : « ألا لاتغالوا بصداق النساء ، فإنها لو كانت مكرُمةً[1] في الدنيا ، أو تقوىً عند الله ، كان أولاكم بها النبي ﷺ ماأصدق رسول الله امرأة من نسائه ، ولا أصدقت امرأة من بناته ، أكثر من ثنتي عشرة أوقية » .

* * *

(١) أي : غلاء صداق النساء .

الحُبّ والزّفاف

ليلة الزفاف ، هي ليلة العمر - كما يسميها الشباب وهي اللحظات الأولى التي يتم فيها لقاء الحبيبين ، وإلفة النفسين ، واطمئنان القلبين ، وتبقى هذه الليلة ذكرى دائمة في قلبيهما ، يتذاكرانها حتى يأخذ الله أمانته منهما ..

ولم تحدث هذه الليلة إلا حينما دق جرس الحب في القلبين ، ولكن لابدّ لهذا الحب من براهين تدل عليه ، فأول برهان على ذلك ، الإعلان عن الزواوج يقول رسول الهدى والرحمة ﷺ : « أعلنوا النكاح بالدّف » ليكون أول دليل على حبهما ، لأن هذا الزفاف ما هو إلا تتويج لحبيبين ، أحبا أن يعيشا في بيت واحد ، وفي حياة

واحدة ، ولكي يعلما الناس ، أن اللقاء قد تم بينهما على سنة الله ورسوله .

وإكراماً وتقديراً لهذا الحب ، لابد من برهان آخر ، وهو إهراق الدم ، ليأكل منه الفقير وغيره ، وليدعوون لهذا الحب بالدوام والاستمرار ، يقول رسول الله ﷺ « أولم ولو بشاة » وقال : « بئس الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء » لأن الفقراء أولى بهذا الطعام من أولئك ، ودعوتهم قريبة من الله .

هكذا يتم الزفاف كما بينه لنا نبي الرحمة ﷺ ، اعلان عن الزواج ، وإهراق دم ودعوة للناس ، فهل يحدث هذا في لقرن العشرين ؟ إن حدث فإن حدوثه نزر قليل في بيتوتات تكاد لا تذكر ، أما الأسر الباقية ، فقد خطت خطاً سريعة إلى الهاوية لتقف على أبواب الهلاك ، نعم إنه هلاك من وراء الأفعال الضالة ، المليئة بالاثم والزيغ ، يسخط الله منها ، فليت الاعلان عن الزفاف يتم بالطبل ، بل بتلك الآلات الموسيقية ، الساحرة للقلوب ، الفاتنة للنفوس

ولا يكفي ذلك ، بل لابد من راقصة ترقص ، وكانها عفريت بين الشياطين ، فقدت كرامتها وشرفها وأصبحت من الساقطات ، وتريد إسقاط غيرها ، قد أظهرت كل مستور وأخذت بعرض نفسها على الشباب ، الذين أحجبت الخمرة عقولهم ، وتسمع الآهات الكاذبة ، والكلمات السامة من الشباب والفتيات ، قد اجتمعوا كلهم في مكان واحد ، وتحت سقف واحد ، وكأن هذه الليلة خصصت لهم لا للعروسين ..

وأين العروسان . وأين الحبيبان من هذا المشهد ؟ أجل إنهما يشاهدان هذا بأم عينيهما ، فكيف يبارك الله لهما ، وكيف يبقى الحب مستمراً في قلبيهما ؟..

كل واحد منهما ينظر وينظر ، فكم من أزواج وزوجات فقدوا حبهم من تلك الليلة ؟ سقت أعينهم على أشكال حميلة ، فسقط الشيطان بين قلوبهم وتستمر هذه الصورة البشعة ، حتى يظهر الغثيان على الوجوه ، وتكاد

الأرجل تسقط على الأرض ، فينفض الجمـــع ، ويترك وراءه الروائح المنتنة ، والنفوس القلقة .

هذه ليلة الزفاف في عصرنا ، فهل نهاية هذا الجمع يصورها الإسلام لنا بهذه الصورة ؟ إنه يعطينا أجمل صورة لنهاية هذا الجمع ، فقد طلب رسول الله ﷺ من كل من حضر هذا الزفاف ، أن يدعو لهذين الحبيبين حينما يريد الخروج ، وذلك بقوله : « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير » فكم من فارق كبير بين الزفاف الاسلامي وهذا الزفاف الضائع ؟!

زفاف ينتهي برائحة منتنة تزعج الحبيبين ؟ ..

وزفاف ينتهي برائحة طيبة تسعد الحبيبين !..

زفاف يختم بكلمات ملؤها الفحش والدعارة ؟ ..

وزفاف يختم بكلمات تعود على الحبيبـــين باليُمن والبركة !..

زفاف تم على البذخ والاسراف ، ليعود على الحبيبين بالبغض والكراهية .

وزفاف تم على قدر الاستطاعة ، ليكون رمزاً للحب القائم بين الحبيبين .

وبعد هذا يجتمع الحبيبان ، ويلتقى القلبان ، وتظهر نشوة اللقاء بينهما ، وما ذلك إلا تعبيراً عن حبهما الصادق المبني على التقوى ، والمؤسس على أسس الإسلام إنهما روحان اجتمعتا على مَعِين الحب ، ترشفان منه كل ما يدعو إلى المودة والالفة فالكلمات الحلوة ، والابتسامات الصادقة ، والمداعبة الشريفة اللطيفة ، ولاوجود للمشادة العنيفة ، ولاللكلمات الصاخبة ، ولا للمعاشرة الهمجية ، هكذا يكون هذا اللقاء بين الحبيبين ، وهكذا يريد الاسلام للزوجين . .

فهل يفعل هذا الأحبة في القرن العشرين ؟؟ ليس هناك أيُّ شبهٍ بين اللقائين إن الحبيب يدخل على حبيبته وهو يترنح يمنة ويسرة ، وقد أخذت الخمرة منه كل ماخذ فظهرت وحشيته ، وكأنه ذئب مُستأسد هجم على

طلي وديع ، فماذا ستكون النهاية بينهمـــا ؟ وكيف يستقر الحب ؟ وكيف يتم بناء هذه الأسرة ؟

إن الزوجة ستشعر في كل وقت ، وتتذكر في كل حين تلك الوحشية والرعونه ، التي تلقتها من هذا الانسان في أول لقاء بينهما في بيت الحب والمودة ، فهل هذا فعل يرضاه الأحباء ؟ إن الشاب يدلل على فعله هـذا بقوله : يريد أن تصبـح عنده الغريزة الجنسية قوية !! مع العلم أن الطب قد أثبت ضعف الغريزة عند من يشرب الخمر ، وكيف يفعل ذلك ؟ ولا يدري ماسيحدث بينه وبين حبيبته ؟ ؟

وزد على ذلك ما تتبجح به الفتاة ، حينما يقترب منها زوجها ، إنها تريد هدية !!وهذا مما لايرضاه الإسلام لها ، لأنها ليست متعة مؤقتة يتمتع بهـا زوجها ، ثم يتركها ، وكذلك يؤدي هذا الفعل مع الزوج إلى ابتعاد قلبه بعض البعد عنها .

وهكذا نلاحظ الفوارق الشاسعة بين ماجاء به الاسلام ، وبين ما يُفعل ويُطبق في المجتمع الحاضر .

فعلى كل قلبين متحابين ، أن يطبقا كل ما أمر به دينها الحنيف ، لكي يعيشا عيشة ملؤها الحب الدائم ، والرحمة الزاخرة ، والمودة المستمرة .

★ ★ ★

الحُبّ بَيْن الزّوجين

مضت ليلة الزفاف ، فهل مضى معها الحب والذكريات ؟ وهل توقفت نبضات المودة والرحمة بينهما ؟ إن الجواب نجده في هذه الآية الحكيمة : « ومِنْ آياتهِ أنْ خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لِتَسكُنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرُون [1] » .

إنه حب مبني على اللطف والرفق ، قد استقر في أعماق القلب وأغوار الحس « لتسكنوا إليها » إنه قد وقع في النفس والعقل والجسد ، فيجد كل من الزوجين عند الآخر الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويستمر هذا الحب بينهما وكأنه نبع فياض ، يزيد ولاينقص ، لأنه

---

(١) الروم : ٢١ .

حب حقيقي نبت على الصدق والعفة وقد وطد النبي ﷺ علاقة هذا الحب بين الزوجين ، وأوضح السبل لاستمراره بقوله : « استوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله .... » .

فلم هذه الوصية ؟ هل ليبغضها فتصبح عنده كعبدة لاقيمة لها ؟ إنها وصية لاستمرار المودة والإلفة ، ولكي لاينسى الزوج أنه أحبها وأحبته ، وأصبحت حليلة له ، وقد بين رسول الهدى : أن خير الرجال من أمته ، ذلك الذي يحب أهله فيقول « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

فما هو خير الزوج لزوجته ؟ هل الخير بتقديم كل ما يتطلبه بيت الزوجية من حاجات فقط ؟ لا بل هناك الذي يبنى عليه كل خير ، إنه الحب إنه العطف والحنان ، والمحبة والاطمئنان ..

وقد لاحظ المصطفى ﷺ أن هناك بعض المنغصات ربما تحدث بين الزوجين ، فنبه على ذلك ليسد باب البغض ،

ولا يدع له أي نسمة يمر منها فقال : « لا يفرَكنّ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر »[1]

فلا وجود للبغض ، بل حب وتسامح من قبل الزوجين ، ولا داعي لوجود المنغصات فإن وجد شيء منها فلا بد من إزالته ، وذلك بالرجوع إلى العهد الذي بينهما : عهد المودة والرحمة ، عهد المحبة والاستقرار ، فالمشاحنات اليومية ، والخلافات المستمرة لا وجود لها بين زوجين ، أحبا بعضهما حباً إسلامياً لا تشوبه شائبة ، فإن كان الحب بعيداً عن المفهوم الاسلامي ، فلا بد لوجود تلك المنغصات التي تتدرج إلى خلافات يومية ، ثم إلى بغض وبعد بين الزوجين ، ثم إلى ضرب الزوج زوجته ، وحينئذ يصبح الحب نسمة تذهب مع أدراج الرياح وكأنها لم تكن ، هكذا يحدث في الوقت الحاضر ، لأن معنى الحب والزواج لم يفقهه هؤلاء من خلال الشريعة الاسلامية ، فهل يعقل أن يعمد الرجل لضرب زوجته ؟! ولقد تعجب رسول الهدى والرحمة من

---

(١) لا يُفرِكنّ : لا يبغضنّ .

هذا بقوله : « يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد لعله يضاجعها من آخر يومه » كيف يضرب الزوج زوجته وفي أمسية من الليل يضاجعها ؟ فهل يجتمع بغض ومحبة ؟ إن النبي ﷺ ينكر هذا العمل ، الذي يميل إلى الحيوانية ، ويجعل الانسان حيواناً بصورة آدمي ، لا إنساناً محباً يشعر بالمودة والرحمة ، والزوجة .. تلك الانسانة الوديعة التي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها بقوة الجسد ، بل لها قلب ينبض بالحنان ، وروح تسمو إلى الرأفة والإلفة ، فماذا تفعل إن حدث هذا معها ؟

إنها ستشعر بفقد حبها وكرامتها ومكانتها عند زوجها ، وإن فقدت ذلك ، تاهت مع التائهات ..

ومن توطيد رسول الله ﷺ لهذا الحب بين الزوجين قوله : « هلّا بكراً تداعبها وتداعبك » فاستمرار المداعبة، دليل على استمرار الحب ، ورسوخ الرحمة في قلبيهما ، وقد وصف رسول الله ﷺ الزوج الذي لا يداعب زوجته بالجفاء فقال : « ثلاثة من الجفاء ... ـ ومنها ـ أن

يجامع الرجل زوجته ولا يقبلها » إنه جفاء حقاً ، لأن إشباع الغريزة لا يكفي ..

فلا بد من الشعور الرفيع بالمحبة بين الزوجين .

وهكذا وضع الاسلام ونبي الاسلام ركائز عظيمة ليبنى عليها الحب الصادق .

وليبقى الزوجان في سعادة دائمة ، واطمئنان نفسي مستمر ..

★ ★ ★

الحبّ وحقّ الزوج

حينما يكون الحب قائماً بين الزوجين ، يصبح الشعور بالحب قوياً من كلا الطرفين تجاه الآخر ، فالزوجة حينما تكون علاقة حبها قوية مع زوجها ، ستطبق جميع الحقوق التي وجبت عليها ، وما هذه الحقوق إلا صورة عملية ، وإشعار لزوجها بالحب الذي استقر في قلبها ،لهذا يقول رسول الله ﷺ : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة : إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا أقسمت عليها أبرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في عرضها ومالك » .

إنها زوجة صالحة محبة ، تبتسم لزوجها حينما ينظر إليها ، فلا تقطيب للحاجبين ولا نظرات شزرة ، بل

الابتسامات المفعمة بالحب والبشر ، ويصبح هـذا الحب كاملاً حينما تظهر الطاعة ، فإن لم تكن طاعة فكيف يكون الحب ؟ وكما قيل « .... إن المحب لمن يحب مطيع » فالطاعة دليل على الحب بيد أن هذه الطاعة يجب أن تكون ضمن حدود الشريعة ، فإن تجاوزتها فلا طاعة للمحبوب ، يقول النبي ﷺ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وتتضح لنا زاوية مهمة من خلال قول رسول الرحمة ﷺ : وهي حفظ المرأة عرضها حينما يغيب عنها زوجها ، فلا يجتمع أبداً حب وخيانة ، حب في الوجه وخيانة عند الغياب » فالزوجة المحبة تبقى في تفكير دائم في زوجها الغائب عنها .

هكذا تطبق الزوجة المحبة لزوجها هذه الأعمال تطبيقاً مليئاً بالحب ، شاعرة أن لا إسعاد لأحـد سوى زوجها ، فسعادته فوق كل سعادة .

ونستطيع أن نذكر قول النبي ﷺ ، عن المرأة المؤمنة ، التي أحبت زوجها حباً جماً : « لا يحل لامرأة

تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحداً ، ولا تعزل فراشه ،ولا تعزبه ، فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه ، فإن قَبِل منها فَبِها ونعمتْ ، وقبل الله عذرها وأفلج حجتها ولا إثم عليها ، وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها »[1] .

أجل إنه بيت مصون ، محفوف بالعطف والرحمة ، فلا دخول لأحد بلا إذن المسؤول عنه والراعي له ، إنها الزوجة المؤمنة ، والمرأة المحبة ، فلا دخول لأحد من غير إذن زوجها ، ولا خروج لها من غير إذنه ؛ فكيف بها إن أصبحت الآمرة الناهية ؟.

تخرج متى تريد ، وتُدخِل إلى البيت من تريد ، فهل هذا البيت يبقى مبنياً على الحب والمودة ؟ من غير تأكيد إنه سيصبح مليئاً بالمشاكل التي ستسفر عن ضياع هذا الكيان ، وفقدان جو العطف والرحمة ، وتضيع

---

(١) أفلج : أظهر .

الأسرة بكاملها ، وتصبح مشتتة فاقدة لكل معاني الإلفة والمودة ، فالحقوق التي وضعها هذا الدين السمح ما هي إلا تثبيت لبيت الزوجية ، وخاصة أن أكثرها تطبق داخل البيت .

ولا يحق للزوجة كذلك أن تهجر فراش زوجها، إذ الهجر دليل على البغض ، ولا وجود للبغض في البيت المسلم ، حتى ولو كان زوجها مجحفاً لبعض حقوقها ، عليها أن ترضيه لتعيد روح المحبة بينهما ، لأن الهجر قد يوصل بالزوج إلى الضياع من الناحية الجنسية ، وإشباعه من هذه الناحية حق عليها ، لاظهار حبها له يقول رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم – أي لا يتقبلها الله منهم – منهم « امرأة باتت وزوجها عليها غضبان » وقال أيضاً : « والذي نفس محمد بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها » فلا تمتنع عنه في أي وقت من الأوقات ، لتشعره باستمرار الحب

بينهما ، فيقـول النبي ﷺ حينما سالته امرأة من خثعم عن حق الزوج على زوجته : « إن من حق الزوج على زوجته إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه » .

فهل تفعل الزوجة في حاضرنا كما يريده الاسلام لها ؟ إنها قد تعالت عن زوجها ، وشمخت بأنفها ، ظناً منها أن الزوج محتاج إليها دائماً ، وهذا ما يلاحظ من هدم للبيوت من وراء هذه الفكرة الدخيلة على عقول النساء ، إنه مفهوم خاطىء ، فالزوج مهما أطاع زوجته فله أشياء كثيرة لاتتم إلا بإرادته ، ومهما كان محتاجاً اليها فإن هذه الحاجات ليست عنده كل شيء .

والآن نريـد أن نبحث ما على الزوجة من حق لزوجها خارج البيت ، ولنستمع إلى قول الله تبارك وتعالى : « وقُلْ للمؤمناتِ يغضضْنَ من أبصارهنّ ويحفظنَ فروجهنّ ولا يبدينَ زينتهُنَّ إلا مـا ظهرَ منها وليضربن بخمرِهن

على جيوبهنّ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ... »[1]
لقد اكتفت الزوجة بحب زوجها ، فلم النظر إلى الرجال الآخرين ؟ ولم التزين لغير زوجها ؟ لتنظر إليه ما تشاء ومتى تشاء وكيف تشاء .

لتأخذ حريتها كاملة في البيت ، تتزين له مشعرة إياه ، أن جمالها وزينتها له وحده لا لأحد سواه ، فما بال الزوجات اللاواتي يخرجن وكأنهن عرائس ؟

لقد بدت زينتهن الخفيـة ، وظهرت فتنتهن التي كانت مستورة ، فأين حق الزوج حينما تخرج زوجته بهذا المنظر؟ وليتها تتزين أمام زوجها ، بل تظاهرت بالانشغال الدائم فلم يبق وقت لهذا ، وحينما يحدث هذا في بيت الزوجة سوف تنظر عينـا الزوج خارج البيت ، ويبحث عمن يشبعه ، لقد ضاع الحق ، وضاع الحب فضاع الزوج في متاهات الإشباع الجنسي ، يبحث عنه بأي سبيل من السبل»

---

(١) النور : ٣١

ولم يكترث بكل ما يجري من حوله ، ونسي تلك الإنسانة التي أحبها وأحبته في يوم من الأيام .

ولا نريد أن نصف كيفية اللباس وغيره لتلك الزوجة ، بل يكفي أن نذكر عطرها الذي يفوح من حولها ، وكأنها ذاهبة لزفافها ، ولكن النبي ﷺ لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ونبه عليها ، فقال عن تلك التي خرجت متعطرة : « إذا استعطرت المرأة وخرجت على القوم فهي زانية وكل عين نظرت إليها فهي زانية » .

ولكن على من نضع المسؤولية ؟ على الزوجة أم على الزوج ؟ إن المسؤولية قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، تقع على الزوج هو وحده ، لأنه لم يصن حبه ، وصيانة حبه هي صون زوجته من الانزلاق في المهالك ، فلو كان ممن قال عنه النبي ﷺ : « كلكم راع ومسؤول عن رعيته... والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته..» لما حدث ذلك .. ولا يحدث هذا كله ..

إن كل ما نراه من مغالطات ومخالفات لهذا الدين الحنيف له أسباب كثيرة ، منها :

أولاً : إننا لم نفهم ما جـــاء به الاسلام لإسعاد الزوجين ، ليس الفهم العقلي بل الفهم التطبيقي ، ثانياً : فقدان الغيرة من الزوج على زوجته ، والغيرة من الحب ، فها هو سعد بن معاذ ، يتكلم أمام رسول الله ﷺ ، وقد اجتمع نفر من الصحابة فقال : « والله يا رسول الله لو أحداً مع زوجتي لضربته بسيفي هذا ـ فتعجب الصحابة ـ فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من سعد؟ والله إني أغير من سعد واللهُ أغيرُ مني ومن سعد » . هكذا ظهر حب سعد لزوجته بصورة الغيرة عليها ، الغيرة التي يرضاها الله ورسوله ، الغيرة التي تحـــافظ على الحب والمودة ، لا تلك الغيرة التي تجلب الظنون والشكوك ، يقول النبي ﷺ : « إن من الغيرة ما يحبه الله ، وإن منهـــا ما يبغضه الله » .

إن الشعور بالغيرة المرضية لله ورسوله ، يتواجد

عند كل زوج يحب زوجته ، فحينما يفقد الحب تفقد الغيرة معه .

هكذا وضع الإسلام هذه الحقوق ، التي يجب على الزوجة التمسك بها والتطبيق لها،كل هذا لأجل بقاء الحب واستمرار المعاشرة الحسنة بينهما .

إن الاسلام لم يترك شيئاً لاسعاد الزوجين إلا بينه ، حتى كلام المرأة وضع له حدوداً خارج بيتها ،إذ الكلام المعسول والمليء بالحنان والعطف ، لا يكون إلا للزوج والأولاد ، قال الله تعالى:« إنِ اتَّقينَ فلا تخضعْنَ بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبهِ مرَضٌ وقلنَ قولاً معروفاً »[1] والمشي كذلك قال الله تعالى . « ولا يضربْنَ بأرجلِهنَّ ليُعلَمَ ما يُخفينَ من زينتهنَّ »[2] كل هذا لحفظ حب الزوجة لزوجها فهل هناك سعادة بعد هذه السعادة حينما يشعر كل منهما أنه أدى كل الحقوق تجاه الآخر ضمن الحب والمودة ؟.

---

(١) الأحزاب : ٣٢

(٢) النور : ٣١

ولنستمع إلى هذه الرواية ، التي تعطينا صورة عن المرأة الصالحة ، المحبة لزوجها الساعية دوماً لراحته وسعادته ، هذه الرواية أخبر بها رسول الله ﷺ أصحابه « أن امرأة الحطاب من أهل الجنة بفضل ما تفعله لزوجها ، سئلت امرأة الحطاب عما تفعله لزوجها فقالت : إن زوجي رجل يحتطب [يقتطع الخشب ويجمع الحطب من الجبل ، ثم ينزل إلى السوق فيبيعه ، ويشتري مايحتاجه بيتنا] فأحس بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا ، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي ، فاعدُّ له الماء البار ، حتى إذا ما قدم وجده ، وقد نسقت متاعي وأعددت له طعامه ، ثم وقفت أنتظره في أحسن ثيابي ، فإذا ما ولج[1] الباب ،استقبلته كما تستقبل العروس عروسها الذي عشقته ، مُسلّمة نفسي إليه ، فإن أراد الراحة أعنته عليها ، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها ... » .

---

(١) دلج : دخل .

الحُبّ وحَقّ الزّوجَة

كما أن الزوجة تظهر حق زوجها بحبها له، كذلك على الزوج أن يظهر حقها بحبه لها، فما هذه الحقوق؟ إن أول حق للزوجة، هو تلك المعاشرة الحسنة من قبل الزوج، ويتضح هذا من خلال قول الله تعالى: «وعاشروهن بالمعروف»[1] فالمعاشرة الحسنة هي أساس اطمئنان النفس، وركن من أركان الحب الذي يظهره الزوج لزوجته، فمهما قدم لها من حقوق، وكان فظاً معها في معاملته فسيبقى الاطمئنان والارتياح النفسي مفقوداً بينهما، ويدلنا على هذا قول نبي الرحمة ﷺ: «ألا أخبركم باهل

(١) النساء: ١٩.

النار ؟ كل عتل جوّاظ مستكبر »[1] لهذا لا يمكن أن يكون بيت الزوجية مبنياً على أسس التقوى إن كان الزوج يعيش في نفسية خاصة ، والزوجة كذلك ، فالتكبر وسوء الخلق ، لا يبعثان في النفس إلا القلق الدائم وعدم الارتياح والاستقرار ، ماعدا الكره الذي ستشعر به المرأة تجاه زوجها ، وقد اعتبر الإسلام الايمان أكمل الكمال ، إن كانت الملاطفة وحسن الخلق تسودان بيت الزوجية ، وذلك لابقاء الشعور الدائم بالمحبة والمودة .

بقول رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم لأهله » وها هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : « ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً».

فلا استعلاء على الزوجة ، ولا ابتعاد عن معاشرتها ، فقد كان النبي ﷺ يسابق عائشة في العدو ، فسبقته يوماً ، ثم سبقها في بعض الأيام ، فقال : « هذه بتلك » . إن

---

(١) جوّاظ : الجافي . لسان العرب

روح المرح والسعادة متواجدة بين النفسين ، وروح المساواة والتواضع قائمة بينهما ، لأن المحبة الحقيقية قد أشغلت كل ما حولهما فوق اشغالها لقلبيهما ، فلم يعد الواجب عبئاً على نفسيهما ، بل أصبح من روح المحبة والالفة ، وهذا رجل يسأل رسول الله ﷺ عن حق الزوجة بقوله : « ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ فيقول المصطفى ﷺ: «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلاّ في البيت » .

فلا تمييز ولا أفضلية لك أيها الزوج على زوجتك، بل عدل ومساواة ، ولم يُغفِل رسول الله ﷺ كل ما تسموا إليه النفس ـ وذلك بعدما ذكر حق الطعام واللباس ـ من كرامة وكيان ، واحترام وتقدير فقال : « ولا تضرب الوجه ولا تقبح » فكيف تضرب الوجه وقد أحببت كل شيء فيه ؟؟ كيف تتكلم معها الكلام البذيء وقد تحدثت من قلبك إلى قلبها ـ وأنت تنظر إليها ـ بحديث مُليء بالحب والسعادة ؟؟! فإن حدث هذا

فلا يحدث إلا ممن لا يعرفون لِمَ تزوجوا ؟ إلا ممن فقدت الرحمة من قلوبهم ، والمودة من أفئدتهم ..

ومن إظهار هذا الحب عدم هجر البيت ، حينما يكون الزوج غاضباً من زوجته ، لأن الخروج من البيت يجعل للشيطان منفذاً ينفذ منه إلى قلب المرأة ، فربما يتغير شعورها نحو زوجها ، فتظن به الظنون ، لأجل هذا لم يسمح الاسلام للزوج بالخروج ، بل طلب منه – إن غضب من زوجته – أن يهجرها في فراشه ، في بيته لكي يشعرها بأنه ما زال على حبه ، فما عليها إلا أن تطلب العفو منه عما بدر منها .

وكما أمر الاسلام الزوجة بغض البصر وحفظ الفرج ، أمر الزوج كذلك ، لكي لا يقع أي سهم من سهام الشيطان في قلبه ، فينقلب الحب بغضاً ، والقرب ابتعاداً ، قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير

بما يصنعون »[1] فغض البصر وحفظ الفرج ، من أسس المحبة لها ، فلا خيانة بينهما ، ولا وساوس في قلبيهما على بعضهما ، بل أمانة وعفة ، وحب وتقدير .

حتى من الناحية الجنسية ، لها الحق في ذلك لتحصين فرجها وجعلها مكتفية بزوجها فهي مثله إنسانة تشعر بما يشعر به ، وتسعى لما يسعى إليه ، يقول رسول الله ﷺ : « إذا جامع أحدكم أهله . . . فإذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها » وعليه كذلك أن يلاعبها يقول ﷺ : « لهو المؤمن باطل إلا من ثلاث . . . منها ـ وملاعبته لأهله » ، هذا ماوضعه الاسلام من حقوق الزوجة محافظة لحبها وحب زوجها ، إنها حقوق كاملة شاملة ، ملؤها الخير العميم الذي يعود على الزوجين بالسعادة واليُمن .

فهل الرجال عرفوا هذا وطبقوه ؟ لو طبق لما خرجت النساء من بيوتهن كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، ولما شوهدت المحاكم مكتظة بالأزواج والزوجات

---

(١) النور : ٣٠ .

فحينما يسعى الزوج وتسعى زوجته لتطبيق كل ما يدل على حب أحدهما للآخر لحلت كل المشاكل ، ولذهبت كل المنغصات ، ولكن الحقوق فهدورة فهدر معها الحب ، فكم من أزواج يخرجون من بيوتهم ، ليمضوا الليالي السوداء في قضاء شهواتهم وملذاتهم، ويتركون أزواجهم بلا مودة ولا رحمة ، ثم يعودون إلى بيوتهم مع بزوغ الفجر وقد فقدوا عقولهم ، وضاعت الرأفة والرحمة من قلوبهم ؟؟ وكم من زوجات ضللن الطريق ، يقضين الليالي لإشباع غرائز الآخرين .

فكيف يبنى بيت الزوجية على السعادة والسلام ؟ وكيف يكون الحب متبادلاً إن كانت لمودة والإلفة سقطت من قلبيهما ؟.

فلا اطمئنان في النفس ، ولا رضاء للروح ، بل ضياع فوق ضياع ، فلم يشعر أحدهما الآخر بالمحبة الحقيقية، بل زيف وتضليل ، فهل هذا بناء للأسرة .

فليت يطبق هذا الواجب الذي يدلنا عليه الاسلام ، لكي يصبح بيت الزوجية مفعماً دوماً بالسعادة والسلام.

الحُبّ وَحَقّ الأولاد

إن النسل هدف أصيل من أهداف الحياة الزوجية ، فحينما يكون الحب متبادلاً بين الزوجين لا بد من تقوية لهذا التبادل ، وذلك بسعيهما وبدافع الرغبة منهما التي لها جذورها في نفسيهما لوجود طفل بينهما ، يرمقانه بعين الرحمة والحنان ويضمانه بروح المحبة والاطمئنان ، ويعملان قصارى جهدهما لإسعاد هذا الطفل لكي يشعر بالحب والإلفة ، بالسعادة والسلام .

كل ذلك يتحقق حينما يكون هدفهما موحداً ومتجانساً ، فيغرس الحب في قلب الطفل كما غرس في قلبيهما ، ونجد هذا الحب للطفل في قول الله تعالى : « زُيِّنَ لِلناسِ حُبُّ الشهوات من النساء والبنينَ والقناطير

المقنطرةِ من الذهب والفضة والخيل المسوّمةِ »[1] فبعد تقديم حب النساء تلاه بحب البنين ، لأن حبهما له صورة واقعية يريانها على طفلهما ، فيصبح صورة طبق الأصل عن حبهما ، يناجيانه من خلال حبهما ومودتهما ، فتنشأ المحبة في قلب الأولاد الواحد تلو الآخر وذلك حينما يتابعان المسير في هـذا السبيل ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » والإكرام والإحسان إليهم محبة ، وتربيتهم على الآداب الفاضلة محبة ، ولايمكن أن يحدث تناقض بين الطفل وأبويه ، بأن يكونا محبين لبعضهما باغضين للأطفال ، فإن حدث هذا البغض فإنه يدل على عدم الإلفة والمحبـة بينهما ، وفقدان العطف والرحمة وإن كان لهـذه الصورة وجود ، فسوف لا يتم أبداً أي تماسك لهذه الأسرة وتصبح التربية في هذا البيت كتربية الحيوانات لصغارها ، فحينما تكبر تعتمد على نفسها لجلب رزقها ، ويفقد التعارف بينها ، وقد نبه على هذه

---

(١) آل عمران : ١٤

الصورة السيئة نبي الرحمة بقوله : « كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت » .

إنه الضياع النفسي ، ضياع الالفة والمحبة ، ضياع الشعور بالرحمة والحنان لا ضياع الأطفال بالفقر من جوع وعطش ، وقد قدم أناس من العرب على رسول الله ﷺ فسألوا : تقبّلون صبيانكم ؟ فقالوا : نعم . فقالوا : لكنا والله ما نقبّل . فقال النبي ﷺ « أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة » .

فمن الحب تقبيل الأبوين لأولادهما ، ومداعبتهما لهم لكي يشعر الأولاد بالعطف والحنان ، ولعمق هذا الارتباط بين الولد وأبويه ، ذكر الله تعالى هذا الارتباط النفسي والنوعي ، قال الله تعالى : « والله جعلَ لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنينَ وحَفَدَة »[1] .

ولكن كيف تكون التربية حينما يسعى الزوج

---

(١) النحل : ٧٢ .

وزوجته لوضع ابنهما في الحضانة من صغره ؟ وكيف تصبح أطباعه حينما يبتعد عن بيت أبويه ؟ وماذا يفعلان بعد هذا حينما يفقد الولد العطف والحنان ؟ فلا عجب إن فقد الولد المحبة والرحمة ، لأن الزوجين لم يبنيا حياتهما الزوجية على أسس المحبة والمودة ، وإنما كان البناء من المادة الزائلة ، ومعها زالت معاني الحب والاطمئنان .

إن الطفل يشعر بروح المحبة حينما يضع رأسه على صدر أمه ، ويشعر بالاطمئنان النفسي حينما يتغذى بذلك الغذاء الكامل منها وهذا من حقه ، فإن فقد هذا الحق فقدت المحبة ، وفقدان المحبة يؤدي بالنهاية إلى فقدان التعايش السلمي في بيت الزوجية .. ومما يجعل الأولاد في مأمن من هذا ، هو جعل هذا البيت مبنياً على المودة والرحمة مغموراً بالحب ، يفوح منه عبير الحنان والاطمئنان ، لكي ينشأ الأطفال على الحب ، ويكونوا من السعداء في الحياة الدنيا والآخرة .

الخاتمة :

البيت المسلم في ظلال الحب الإسلامي

البيت المسلم
في ظلال الحب الاسلامي

لم يترك الاسلام زاوية من زوايا البيت المسلم ، إلا وغرس فيه شجرة تفوح منها رائحة الحب ، لقد وضع الحب بين الزوجين وأقره لأنه من حب الله ورسوله ، فسكنت نفوسهما ، واطمأنت أفئدتهما وظهرت المودة والرحمة في تصرفاتهما .

فمن حبهما أصبحت هذه الأسرة متكاملة متكافلة ، لا يعج فيها غبار البغض والتفرقة ، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « ... ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » ، ومن حبهما ظهر اللين في طباعهما وطباع من نشأ في كنفهما ، يقول الله تعالى :

« واخفض جناحكَ لِمن اتّبعك منَ المؤمنين »[1] .

ومن هذا الحب ظهر الكرم وحب الضيف عندهما ، يقول رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وتواجد التواضع بينهما من غير ذل ، قال الله تعالى : « ... أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين ... »[2] وظهر الرضاء بما قسم الله لهما ولأولادهما من رزق ، قال الله تبارك وتعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ نحنُ نرزقهم وإياكم »[3] .

إنه الحب الذي ملأ جوانحهما ، وملأ كل قلب ينبض في بيتهما ، وأصبح هذا البيت أجمل بيت : يضم أجمل أسرة ، فيها النضارة والنظافة ، فيها التقوى والمحبة لله ورسوله ، لقد صلحت القلوب فصلحت النفوس ، يقول رسول الله ﷺ : « ... ألا وإن في الجسد مضغة،

---

(١) الشعراء : ٢١٥

(٢) المائدة : ٥٤ .

(٣) الإسراء : ٣١ .

إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

فالقلب قد صَلُحَ ومُلىء بالاطمئنان ، فلا حاجة للقلق المؤدي إلى الهلاك ، ولا إلى التعقيد النفسي المؤدي إلى الجنون ، إنه عش هادىء لا صخب فيه ولاضجيج ، يقول الله تعالى : « ... واغضُضْ منْ صوتك إن أنكر الأصوات لصوتُ الحمير »[1] إنه بيت رفع شعار المحبة يقول النبي ﷺ : « لا يُؤمن أحدُكم حتى يُحب لأخيه مايحبه لنفسه » فكل من فيه يعمل بالتساوي ويشعر بالمسؤولية ، يقول رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وكل من فيه يسعى لإسعاد الآخر فالقلوب خالية من الحسد ، يقول رسول الله ﷺ : «ولا تحاسدوا ولا تناجشوا ... » وخالية من الحقد والظلم ، يقول رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله » .

---

(١) لقمان : ١٩

وكل من فيه يسعد ويهنـــأ .. ولا وجود أو داعي للكذب والخديعة والخيانة ، يقول النبي ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخدعه » .

وقد ابتعد كل من يعيش في هذا البيت ، عما يسيء الناس من القول .. يقول رسول الله ﷺ : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » هكذا يكون البيت المسلم ، الذي قال الله تعالى فيه : « ذريةً بعضُها مِنْ بعضٍ واللهُ سميعٌ عليم »[1] .

وهكـذا يكون الحب الاسلامي في البيت المسلم ، تشع من كل جوانبه وزواياه روح المحبة والإلفة ، والسعادة والسلام .

★ ★ ★

(١) آل عمران : ٣٤ .

وللنهاية كلمة :

قال العماد الأصفهاني

« إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا قال في غده : لو غُيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العِبر » !!؟.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

فهرس الموضوعات

المقدمة — — — — — ١١

منهج البحث — — — — — ١٥

المدخل إلى آفاق البحث :

حب الله فوق كل حب — — — ١٧

الحب والعشق — — — — — ٢٧

الحب والغريزة الجنسية — — — ٣١

الحب بين الحقيقة والزيف — — — ٣٥

الحب العذري وموقف الاسلام منه — — ٣٧

الحب في القرن العشرين — — — ٤٣

العلاقة والخطبة — — — — ٤٩

الحب والمهر — — — — — ٥٧

الحب والزفاف — — — — — ٦٣

الحب بين الزوجين — — — — ٧١

الحب وحق الزوجين — — — — ٧٧

الحب وحق الزوجة — — — — ٧٨

الحب وحق الاولاد — — — — ٩٣

الخاتمة :

البيت المسلم في ظلال الحب الإسلامي ٩٩

مكتبة الأمة للنشر والتوزيع
قطر - الدوحة